

شوقی مسلمانہی

مَا مِنْ  
سُوِيٍّ فَضِيْرٍ



(ما من سوء فهم)

\_ شوقي مسلماني.

\\

الوقتُ المناسبُ صناعةٌ عالية.

\\

رأيتُه في المكان وفي اللامكان، في النطق وفي  
الصمت، في النظرات الرؤومة، في فطنة، في  
تصميم، يستعير من الشمس عيناً ومن المسافة

سِعة، بعيونٍ تنظر بتلفازِ العالم، ورأيتُهُ ينطفئ  
اشتعالاً.

..

شجرةٌ ضخمة مليئة بالسكان، مَنْ يتولّى أمرهم  
ولا يهْمُه أمرهم، مَنْ يفضح قوادي العاصمة،  
مَنْ يضيع في العويل، مَنْ يخرج على الحصار  
الذي هو فيه، من يُطالب بقامةٍ عالية، مَنْ يقع  
في قلبه موقِعاً شديداً الحساسة ما قاله  
همنغواي لأهرنبرغ عن شاب أمميّ أمريكيّ قضى  
في الحرب: "لا أقدر من الحرب، ولكنني أعرف  
فيها لماذا ولدتُ، لا بدّ من إقصاء الفاشست عن

مدريد. هل ترى كيف هي الأمور؟ نحن نودّ أن  
نقول للسلاح وداعاً وفي آن لا خيار أمامنا إلا أن  
نقبض على السلاح".

.. وَمَنْ يَفْرَحْ بِلِحْظَةِ الْمِيلَادِ وَيَنْهَارَ هَازِئاً مِنْ أَلَمِ  
الْحَلْمِ مَتَجَسِّدًا.

مَنْ يَقُولُ: "مَا أَكْثَرَ الْأَذْكَيَاءَ مِنْ حَوْلِي وَمَا أَقَلَّ  
الشُّرَفَاءَ".

مَنْ "مَثْلُهُ مِثْلُ طَيْرٍ وَقَعَ فِي الشَّبَاكِ، وَكَلَّمَا جَاهِدُ  
كَلَّمَا أَطْبَقَتِ الشَّبَكَةُ عَلَيْهِ، وَلَا نَفْسُ الطَّيْرِ  
التَّوَاقَةُ إِلَى الحَرِيَّةِ هَدَأَتْ وَاسْتَكَانَتْ وَلَا خِيوطُ  
الشَّبَكَةِ مَكَّنْتَهُ، وَهُوَ فِي مَدٍّ وَجَزْرٍ حَتَّى أُخِيرَ  
خَارَتِ عَزِيمَتُهُ وَشُلَّ عَنِ الحَرَكَةِ فَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ  
مَسْتَسْلِمًا لِسَكِّينِ الصَّيَّادِ".

.. "وَلَكِنْ إِذَا حَمَّ القَضَاءُ عَلَى امْرِئٍ فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ  
يَقِيهِ وَلَا بَحْرٌ".

.. وَمَنْ لِلأَجْمَلِ يَنْذِرُ عَمْرَهُ.

..

عَقُولٌ أَنْظِفُ مِنْ عَقُولٍ وَعَقُولٌ أَحْطُّ مِنْ  
انْحِطَّاطٍ حَيْثُ لَا كِرَامَةَ لِشَرِيفٍ. أَرْوَاحٌ لَا عَدَّ  
وَلَا حَصْرَ لَهَا سَابِجَةٌ فِي الْمِيَاهِ الْحَلْوَةِ وَالْمِيَاهِ  
الْمَالِحَةِ، بَارِدَةٌ وَحَارَّةٌ، زَاحِفَةٌ أَوْ دَابَّةٌ، لَهَا حُرَابٌ،  
أَظَافِرٌ، بَرَاثِنٌ، مَخَالِبٌ، أَسْنَانٌ، أَنْيَابٌ، لَا  
قَاعِدَةَ فَتُعْرِفُ بِقُعُودِهَا فَتُنَبِّهَهُ وَتُؤَنِّبُهُ وَتُنصَحُ

وَرُبَّمَا تُفَقِّهَهُ، وَلَا قَائِمَةٌ فَتُجْزَى مِنْ نَوْعٍ وَمَقْدَارٍ  
قِيَامِهَا وَعَمَلِهَا.

كَرِيمَةٌ أَوْ لَيْئِمَةٌ، لَا الْكَرِيمَةُ انْكَسَرَتْ  
وَاسْتَسَلَمَتْ وَلَا اللَّيئِمَةُ انْتَصَرَتْ وَعَرَبِدَتْ.

تَصْعَدُ وَتَهْبِطُ بِحَسَبِ دَرَجَةِ الْحَرَارَةِ، فِي مَدِّ  
وَجُزْرِ بِحَسَبِ مَوْقِعِ الْقَمَرِ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ بِحَسَبِ  
فَصُولِ السَّنَةِ، وَإِذَا فَصَلَانَ فَالْخِيَارَاتُ ضَيْقَةٌ  
وَإِذَا فَصَلَ وَاحِدًا فَالْمَسْأَلَةُ شَدِيدَةُ الْوَطْأَةِ.

سماء قاسية وعقبان تدور في السماء وتدور.

قصصٌ فرحة وقصصٌ غاضبة، قصصٌ أمله  
وقصصٌ أسفة، ثائرة أو خامدة، كارهة ينزُّ الدمُّ  
الأسود مِنْ بين كلماتها.

قصصٌ عن القطط السمان، عن الإتحاد  
والتغيير، عن العقلِ اللاهوتيِّ والعقلِ  
الناسوتي، عن العقل السحري والعقل العلميِّ،  
عن رحيل، عن بحار مظلمة، عن عالم التحكّم  
مِنْ بُعد، عن جرائم شرف تمنحه السلطاتُ  
العليا للسلطات الدنيا، عن تواريخ ساديّة، عن  
مصّاصي الدماء.

.. وحبائل وخيانات، وأسواق نخاسة.

عن مسافات ليس فيها مسافات، ليس فيها  
مسافة واحدة، عن قلة احترام الذات، عن  
عيون تدور في محاجرِها وتدور، عن صدفة،  
خطأ وحظّ، وانقلِ الرسالة إلى الأمام.

..

ليس كلّ سؤال هو سؤال ولا كلّ جواب هو  
جواب، جلّ الأسئلة وجلّ الأجوبة لا هي أسئلة  
ولا هي أجوبة، يكسب جولات ويخسر الحرب  
ويخسر جولات ويكسب الحرب، يرعى بالعصا  
أو بالكلاب ويجتمع ويفترق.

سعيٌ مِنْ دُونَ جَدْوَى أَوْ عَمَلٍ مِنْ دُونَ أَمَلٍ.

أَكْثَرُ مَنْ يَصْمِتُ هُوَ أَكْثَرُ مَنْ يَقُولُ، أَكْثَرُ مَنْ  
يَعْمَلُ هُوَ أَكْثَرُ مَنْ يَتَضَوَّرُ جَوْعاً، أَكْثَرُ مَنْ  
يَحْتَمِلُ هُوَ أَكْثَرُ مَنْ يَقَعُ فَرِيْسَةَ الْعَدَمِ أَوَّلًا وَأَكْثَرُ  
مَنْ يَعْلَمُ هُوَ أَكْثَرُ مَنْ يَقْلُقُ.

يعرف وفي عينيه اليوم الأخير، يُبهره الحبّ ولا  
يعرف سبيلاً إليه، يتزحلق على الوقت والوقت  
يُزحلقه ويُدبر كأنّما من وباء.

في الجهة وفي الجهة المعاكسة، كلمات ينطق بها  
اللسان، محاولة يائسة بالأسنان، عملٌ أو  
ترتيبٌ صُدفة، صراخ لا ينقطع، عُقال، جهّال،  
لهم، ليس لهم، لذاتهم أو بذاتهم، مَنْ يعمل، من  
لا يعمل، من يأمل ومن لا يأمل، مَنْ يقع فريسة  
سهلة، مَنْ تاه في مسافة خرم إبرة، أناشيد حبّ  
و حرب، جماعات وأفراد أفقيّاً وعموديّاً، مَنْ

يُفَكِّر، مَنْ لَا يَفَكِّر، مَنْ يُؤْذِيهِ أَنْ يَرَى أَحْيَاءَ  
الْصَفِيح، مَنْ لَا يُؤْذِيهِ أَنْ يَرَى أَحْيَاءَ الْصَفِيح،  
اغْتَرَابَ لَا أَوَّلَ لَهُ وَلَا آخِرَ.

يَتَسَلَّلُ بَيْنَ الشَّقِيقِ، بِالظَّاهِرِ هُوَ مَعَ كَارِل  
مَارِكْسَ وَبِالْبَاطِنِ هُوَ مَعَ سُلْطَةِ رَأْسِ الْمَالِ أَوْ  
بِالظَّاهِرِ هُوَ مَعَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ وَبِالْبَاطِنِ هُوَ  
مَعَ أَبِي جَهْلٍ أَوْ بِالظَّاهِرِ هُوَ مَعَ السَّيِّدِ النَّاصِرِيِّ  
وَبِالْبَاطِنِ هُوَ مَعَ الْقَيْصَرِ.

## شَجَّ بِحَجَرِ رَأْسِ الْكَهْرِبَاءِ.

شُبُهَةٌ نَمَلٍ أَبْيَضٍ، إِرْهَابٌ دَوْلِيٌّ، عَقْلِيَّاتٌ سَحْرِيَّةٌ  
بِالْجُمْلَةِ وَالْمَفْرَقِ، صِرَاعَاتٌ نَتَاجُ دِرَاسَاتٍ  
وَأَبْحَاثٍ، عَوْلَةٌ قَهْرِيَّةٌ، صِرَاعٌ حَضَارَاتٍ أَوْ  
ثِقَافَاتٍ، شَهُودٌ زُورٌ، لَا وَدَّ وَلَا عَهْدَ، قَسْوَةٌ  
وَأَنَانِيَّةٌ، "مِنْ مَصْلَحَةِ الْحُكَّامِ اخْتِلَافُ  
الْمُحْكُومِينَ"، وَثِيرَانٌ تَأْخُذُهَا الْعِزَّةُ إِنَّهَا "تَفُوتُ"  
بِالْحَيْطِ.

القطّ يحفر ويطمر، الكلب يرفع ويرشّ، الجمل  
يحمل ويحتمل، الحمار ينهق ويُبَعِّر، أبو صيَّاح  
الديك يصيح ليطلع الفجر، السنونو تلبس  
الحداد، الحيّة لا تؤمّن متى تنهش، الأرنب  
سرعان ما يهرب، عصفور الدوري اليقظ،  
البومة الحكيمة، الغراب مُشِعِلاً النيران في بيتِ  
فقيرٍ كان يؤويه، الجراد لا يُبقي ولا يُذر،  
والفيروس مستحكماً لا يبتلع مدينة وحسب بل  
يبتلع الأرض قاطبة.

كُرِّ وَفَرٌّ، مَنْ يُوَكِّدُ أَنَّ النِّزَاهَةَ هِيَ فِي المِمَارَسَةِ لَا  
فِي الكِتَابَةِ وَالمُخَاطَبَةِ، مَنْ يَقُولُ إِنَّ المِرْأَةَ كَلَّهَا  
عَوْرَةٌ وَيَحْرِقُهَا بِطُغْيَانِهِ، مَنْ يَحْمِلُ البَابَ عَلَى  
ظَهْرِهِ، مَنْ يَتَقَدَّمُ نَاطِرًا إِلَى الخَلْفِ، "أَفَمَنْ  
يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى"؟ مَنْ لَيْسَتْ لَدَيْهِ  
فِكْرَةٌ وَمَنْ يَفْتَحُ نَافِذَةً بِقَلْبٍ سَلِيمٍ.

تَحِيَّةٌ لِعِلْمِ الطَّبِّ، تَحِيَّةٌ لِعِلْمِ المِهْنَدَسَةِ،  
الإِجْتِمَاعِ، البِيئَةِ، النِّشْوَءِ وَالتَّطَوُّرِ، أَصْلُ  
الإِنْسَانِ الدَّارُوِينِي، الأَثَارِ، البَحَارِ، الزَّلَازِلِ،

البراكين، الفلك، المواصلات، الإتصالات،  
الحشرات، الجينات.. ولكل علم طبيعي.

عبريات علمية لا تثنيها عن إعلان الحقيقة  
دعوات كاذبة بإسم وحدة القبيلة أو الطائفة أو  
المذهب، و"صياد سمك يتفحص كل ثقب في  
شبكة بعد كل جولة صيد".

عقلٌ حربٌ وعقلٌ حربٌ على الحرب.

.. وعقلٌ رِيَّاح الصبَا بالعسل.

أجنحة واءمتها الريح، طيورٌ مغرّدة، مثلثات،  
مربّعات، مستطيلات، جيّد، جيّد جدّاً، ممتاز،  
صهيلٌ خيل، أحلام موسيقى، أخوة صادقة،  
ورود تحمّيا حِراب، آلهة، إله متعدّد، إله واحد،  
نتاج "التراكم الكميّ الذي يؤدّي إلى تحوّل نوعي"  
والمتصوِّفة يقولون: "الطريق لا الوصول".

شهوة السلطة، عماء البصيرة، الذين في دائرة  
الدعوة إلى خصخصة الماء والكهرباء والهواء،  
يبتنون على أساس أنّ السلام آت لا على أساس  
أنّ السلام غير ممكن بعد، القنابل العنقوديّة  
والقنابل الفوسفوريّة، ومن يرتكب إثمها هو  
مجرم حرب، يُخفّر إلى المحكمة الجنائيّة  
الدوليّة مع جميع الذين رخصوا له، أم صار  
المجرم حائط مبكى أو يرشح زيتاً أو تتوجه  
عمامة أو تظلل غمامة؟ الذين يكرّرون ما يوحى  
إليهم والذين إذا عجزوا غيّرُوا الكلمات.

العِلْمُ رَأَى النُّورَ، أَوْرَقَ، أَزْهَرَ، وَأَثْمَرَ فِي عَصُورٍ  
مَتَأَخِّرَةٍ.

..

نَتَاجُ خَطِّ شَدِيدَةِ الوَطْأَةِ، الإِقْطَاعُ الطَائِفِيّ،  
العَصَا، سَوْءُ الظَّنِّ، التَّمْيِيزُ بَيْنَ الجِنْسَيْنِ، مَنْ  
يَطِيرُ وَلَا أَرْضَ لَهُ، مَنْ يَفْقَدُ صَوَابَهُ، مَنْ يَقُولُ  
وَشَرْطُهُ أَلَّا يَقُولَ، الكَلِّ عَلَى الكَلِّ، اليَأْسُ  
الْمُتَفَجِّرُ وَمَنْ يَسْتَبْعَدُ أَنْ تَكُونَ لِلإِحْتِلَالِ يَدٌ فِي  
هَذَا الخِرَابِ.

ينهار تحت أثقال ضربات اليأس، لا يرغب من  
البصيرة إلا في ما لا بصيرة فيه، يرفس لكي ينهق،  
يُقهقه حين يجب أن ينكتهم، ريح صرصر بالخلّ،  
رياح خماسين بالحنظل، لا بالطول ولا بالعرض  
و"كالأنعام بل أضلّ سبيلاً".

ينسحب بجلبة، ينسحب بصمت، إصابات  
بليغة وعمليات حسّاسة، مباحثات ماراثونيّة  
بانتظار خلل في موازين القوى، قوى أمنيّة أقلّ  
أمنًا، ابتساماتٍ تقطر سمًّا، مصحّات عقليّة،

ذوات شاردة، ثنائيات، تناقضات، إطلاق  
عبارات نارية في سكون منتصف الليل،  
مزايدات، مناقصات، حوالات مالية، الشركات  
المتعددة الجنسية العابرة للمحيطات  
والقارّات، البنك الدولي، صندوق النقد الدولي،  
حقّ القوة، "الإمبريالية أعلى مراحل  
الرأسمالية" .. وما من سوء فهم.

إياب في ذهاب وذهاب في إياب، حقائق في أمكنة  
موات، اغتياالات واغتياالات مضادة، "أخوك أم  
الذئب"؟ "أصاحب أنت فأركن إليك"؟ "العقرب

تلدغ وتصيء"، "ستبدي لك الأيام ما كنت  
جاهلاً"، "مَنْ صار نعجة أكله الذئب"، "خذ  
الأمرَ بقوابله"، "الصبرُ حيلة مَنْ لا حيلة له"،  
"الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ"، "الرؤية طيران  
فوق القيم والمفاهيم القائمة"، "بيني قصرًا  
ويهدم مصرًا"، "من طلب العلى بغير كدٍ  
سيدركها إذا شاب الغراب"، "أفكار تتغير وهي  
تتشكل"، "حيوات تقتحمها حيوات تقتحمها  
حيوات، إرادات أرفع مِنْ إرادات، رحيل يرجع  
برحيل آخر، من يقول قلْ ومن يقول لا تقلْ،  
المحلّ محلّك ومحلك يُسلخ منك، الطيور  
المهاجرة، علوم الكيمياء والفيزياء والأعماق

أللأنهائفة؁ عابر فوارفه الضباب؁ الشعر؁ عصاه  
السحرفة؁ أدوار وأدوار.

الذهب صناعة والإياب رؤفا.

غنّام؁ نحلّ؁ جزّار؁ فرّان؁ فاخورف؁ نحلّات؁  
زفّات؁ مبلّف؁ نحلّاس؁ سلّمان؁ حائل؁ حلّاق؁  
ممرّف؁ عمّار؁ نجلّار؁ دهّان؁ حارس؁ مدرّس؁  
رسلّام؁ بلّطرف؁ سلّجان؁ جلّاد؁ سلّفاف؁ شنّاق؁  
صفرّف؁ معّاز؁ شرّطف؁ جنّدف؁ مخر؁ خفّاط؁

جِرَّاح، طِيَّار، موسيقيّ، مغنيّ، راقص، حصّاد،  
نخّاس، فاكهانيّ، غطّاس، بلاط، حدّاء،  
حطّاب، دبلوماسيّ، خضّار، سمّاك، زرّاع،  
بحّار، ختّان، قابل، ممثّل، جمّال، عتّال،  
عسّال، سائس، مروّض، مخلّاتيّ، طبّاخ،  
فنديّ، خمّار، تاجر، منظّف، فيّال، بغّال،  
إسكافيّ، دالول، لحّام، بوّاب، درّاس، حلّاب،  
صائغ، نجّاد، حرّاث، عطّار، لبّان، جبّان،  
محاسب، مهرّب، عشّاب، تيّان، صبّاغ، دبّاغ،  
فحّام، حمّار، طبّاع، خطّاط، مصوّر، وفلكيّ.

وكأنّما لا أحد، وكأنّما إلى الأبد، وكأنّما حرب  
حقيقيّة يوميّة، وكأنّما جفّت الدموعُ من أزل.

\*\*

"كلّ ما بين مزدوجين صغيرين منقول".

2011

[Shawkimoselmani1957@gmail.com](mailto:Shawkimoselmani1957@gmail.com)